والهاليوم في جو الشمس ولا يوجدان في جو الارض . ويوجد الهواء حول الارض ولا يوجد حول القمر . اما الارغون فثقيل ولا يسهل اتحادهُ بغيرهِ من المواد فيسهل وجودهُ في الهواء ولهذا السبب عينهِ يوجد النيتروجين في الهواء اما الاكسجين فلم يوجد في الهواء الاَّ بعد ان شبعت منهُ العناصر الَّتي تتحد بهِ . واذا وجد في الارض غازات اخرى ثقيلة مثل الارغون واتحادها بغيرها عسر جدًّا مثلهُ وجب ان توجد مطلقة في الهواء . ولكثرة التشابه بين الارغون والهاليوم ولا سيما في خطوط طيفيهما ظن البعض انهما مركبان فيهما عنصر آخر ومنهُ صفاتهما المشتركة

ولا يزال علماء الكيماء والطبيعة يبحثون البحث المدقق عن خواص هذين العنصرين كأنهم يفتشون عن الاكسير لكن مباحثهم الَّتي تظهر لعامة الناس عقيمةً بها وبامثالها ارتقت العلوم والصنائع في البلدان الاوربيَّة وسبقنا الاوربيون مراحل كثيرة

الكنايات عند العرب

لحضرة الكاتب البليغ محمد بك المويلحي

الكناية والاشارة والتعريض والتلميح والتورية والتلويح والالماع والايماء كل ذلك ابلغ في النفس من التصريح والتوضيح والكشف والبيان والافصاح والجلاء . ورب اشارة كانت انفذ في قضاء حاجتك من بلاغة سحبان وائل ورب اسهاب في طلبك ردك بعيًّ باقل . وربما كان السكوت نفسهُ امضى في النفس من النطق . ولقد حاول ابو الطيب ان يستعين للافصاح عن حاجتهِ بالسكوت الذي جاء في بيتهِ

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطابُ

والسبب العقلي في ذلك ان الانسان مولع بما يصدر عن نفسهِ كائنًا ما كان. فما كان لنفسهِ فيه نصيب وقع عندهُ الموقع الارفع والدرجة العليا من حسن القبول . وانك اذا صرَّحت لسامعك بغرضك كلهِ مكشوفًا لم يبقَ فيهِ لقريحتهِ احتكاك ولا لفكرهِ كسب ولا لتصورهِ اقتداح ولا لذهنهِ فيهِ تلهب كان ذلك لديهِ اخفض منزلة في القبول من ان تكني لهُ عن الامر وتعرض بهِ وتورّي فيهِ فانهُ يبقى لفكرهِ حينئذٍ مجال لكشف الامر بنفسهِ فيأتي فيهِ ببضاعتهِ ويبرز شيئًا من كسبهِ فيحل عندهُ محل الرضا والارتياح والقبول والاقبال

وهذا يظهر لك بالبيان الجليّ فيما اقصهُ عليك مثالاً لذلك . روي ان رجلاً رأى شاباً واقفاً يشاهد مضمارًا لسباق الخيل فوجدهُ عند فوز الفرس السابق متهللاً مستبشرًا ضاحكاً جذلاً يصفق بيديهِ ويضرب الارض برجليهِ . فقال لهُ الرجل لعل الفرس السابق لك يافتى . قال لا ولكن لجامهُ لي . فانت ترى ان كل ما اصاب هذا الفتى من الفرح الذي أربى على فرح صاحب الفرس نفسهِ هو ان لهُ فوق الفرس شيئاً لهُ فيهِ يا له النسبة وان كان ليس هو الموجب لسبق الفرس ولكن يكفيهِ ان لهُ شيئاً فيهِ . ولو صرحت لعدوك فقلت لهُ اني قاتلك لا محالة ما اثر فيهِ ذلك تأثير قولك لهُ ستكون لي فرصة فيك ان شاء الله فانهُ يتسع لهُ بهذا مجال الظنون والاوهام في ذهنهِ ويكون اسرع الناس الى تصديق ما يحكم بهِ في الامر من نفسهِ ولو جاءهُ مثل هذا الحكم من غيرهِ لتردد في قبولهِ ووجدهُ هذيانًا باطلاً لانهُ ليس لنفسهِ فيهِ نصيب . وكم تُقدم النصيحة لصاحبك مكشوفة جلية كاملة فيتوقف في قبولها ولكنك اذا تركت لهُ فيها جانباً مغمضاً يستعين بفكرهِ على اجلائهِ ومشاركتك في بيان النصيحة قبلها احسن قبول وكأن ما يجيء بهِ في ذلك من عندهِ يكون كالسواغ للدواء تسهيلاً للنفس على تناولهِ . وكثير من الامور يكون لهُ التأثير تحت ستره ثم يذهب منهُ عند كشفهِ . ومن الطف الامور وقعاً في النفوس من هذا الباب الكناية والوصول الى الوقوف على شيء مجتمع منها مما ترغب فيهِ النفس ويرتاح اليهِ الخاطر ولعل ما تراهُ هنا من ذلك مما جاء في الكتب العربية يقع موقع القبول لديك

قال معاوية للاحنف التميمي ما الشيء الملفف في البجاد فقال السخينة يا امير المؤمنين. وقد كنى معاوية بذلك عن رمي بني تميم بالنهم وحب الاكل بقول القائل

اذا ما مات ميت من تميم فسرّك ان يعيش فجيء بزادِ
بخبز او بتمر او بسمن او الشيء الملفف في البجادِ
تجدهُ يطوف في الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عادِ

واراد الشاعر بالملفف في البجاد وطب اللبن . فقال الاحنف هو السخينة اذ ان قريشاً كانت تُعيَّر بأكل السخينة قبل الاسلام لان اكثر زمانها كان زمان قحط والسخينة ما يسخن بالنار ويذرّ عليهِ دقيق وغلب ذلك على قريش حتى سميت سخينة

ومرّ ابو غسان السمعي بأبي غفار السدوسي فقال يا ابا غفار ما فعل الدرهمان فقال لحقا بالدرهمين . اراد ابو غسان بالدرهمين قول الاخطل

فان تبخل سدوس بدرهميها فان الريح طيبة قبولُ

واراد ابو غفار قول بشار

وفي جحدرٍ لؤم وفي آل مسمع صلاح ولكن درهم القوم كوكبُ

ودخل عبد الله بن ثعلبة المحاربي على عبد الملك بن يزيد الهلالي وهو يومئذٍ والي ارمينية فقال لهُ ماذا لقينا الليلة من شيوخ محارب منعونا النوم بضوضائهم ولغطهم فقال عبد الله بن ثعلبة انهم اصلح الله الامير اضلوا الليلة برقعاً فكانوا يطلبونهُ . اراد عبد الملك قول الشاعر

تكشُّ بلا شيء شيوخ محارب وما خلتها كانت تريش ولا تبري

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدلَّ عليها صوتها حيةَ البحرِ

واراد عبد الله قول القائل

لكل هلالي من اللؤم برقع ولابن يزيد برقع وجلالُ

وبعث المفضل بن محمَّد الضبي باضحية هزيل الى شاعر فلما لقيهُ سألهُ عنها فقال كانت قليلة الدم . فضحك المفضل وقال مهلاً أبا فلان . اراد الشاعر قول القائل

ولو ذبح الضبيّ بالسيف لم تجد من اللؤم للضبي لحماً ولا دما

ولما عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن ابي سرح دخل عمرو على عثمان وعليهِ جبة محشوة فقال لهُ عثمان ما حشو جبتك يا عمرو قال انا. قال قد علمت انك فيها . ثم قال لهُ يا عمرو أشعرت ان اللقاح درّت بعدك البانها . فقال لانكم اعجفتم اولادها . فكنى عثمان عن خراج مصر باللقاح وكنى عمرو عن جور الوالي بعدهُ وانهُ حرم الرزق اهل العطاء ووفرهُ على السلطان

وسمع عمر بن الخطاب امرأة في الطواف تقول

فمنهنَّ من تسقى بعذب مبرد نقاخ فتلكم عند ذلك قرَّتي

ومنهنَّ من تسقى بأخضر آجن اجاج ولولاخشية الله فرَّتي

ففهم شكواها فبعث الى زوجها فوجدهُ متغير الفم فخيرهُ بين خمسمائة من الدراهم وطلاقها فاختار الدراهم فاعطاهُ وطلقها

ومر رجل من بني نمير برجل من بني تميم على يدهِ بازي فقال التميمي للنميري . هذا البازي . قال لهُ النميري نعم وهو يصيد القطا . فأراد التميمي قول جرير

انا البازي المطل على نمير أُتيح لها من الجو انصبابا

واراد النميري قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلّتِ

وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم استعرض لي هذين الفرسين . فقال احدهما اجش والآخر هزيم . اراد بذلك قول الشاعر في معاوية

ونجى ابن هند سابح ذو غلالة اجش هزيمٌ والرماح دوافي

وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج "انك سالم والسلام" فلم يفهمهُ الحجاج ودخل عليهِ قتيبة فسألهُ معناهُ على ان لهُ بذلك ولاية خراسان فبسطهُ لهُ وذلك ان عبد الملك قصد قول الشاعر

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والانف سالمُ

وكان عبد الملك بن عمير القاضي يقول والله ان التخنخ والسعال ليأخذني وانا في الخلاء فأردُّهُ حياء من قول القائل

اذا ذات ذل كلمتهُ لحاجة فهمّ بأن يقضي تخنخ او سعل

وقال ابو الطيب المتنبي

وشر ما قنصتهُ راحتي قنص شهب البزاة سواء فيهِ والرخمُ

كنى بذلك عن سيف الدولة وانهُ يساوي بينهُ وبين غيرهِ من اراذل الشعراء

وارسل عبد الملك الشعبيّ الى اخيهِ عبد العزيز بن مروان وهو امير مصر ليشور لهُ اخلاقهُ وسياستهُ وكان يضعف فعاد اليهِ فقال وجدتهُ احوج الناس الى بقائك يا امير المؤمنين

ومن الكنايات قول الشاعر

اقول لنعم الحيّ حيّ بني كعب اذا جعل الخلخال في موضع القُلب

كنى بذلك عن الغارة اذ ترتاع النساء فتلبس الخلخال في موضع القُلب وهو السوار

ويقال فلان من قوم موسى اذا كان ملولاً اشارة الى قوله تعالى "واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد" قال الشاعر

فيامن ليس يكفيه صديق ولا ألفا صديق كل عام
اظنك من بقايا قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

وقال العباس بن الاحنف

كتبتُ تلوم وتستريث زيارتي ونقول لستَ لنا كبعض العاهد
فاجبتها ودموع عيني سجمٌ تجري على الخدين غير جوامد
يا فوزُ لم اصبركم لملالة عرضت ولا لمقال واشٍ حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

ويقولون للجارية الحسناء قد أُبقت من رضوان (خازن الجنان) كناية عن كونها حورية قال الشاعر

جئتُ الخود بالبنان الحسان وثنت كأنها غصن بان
فسجدنا لها جميعاً وقلنا اذ شجتنا بالحسن والاحسان
حاشَ لله ان تكوني من الانسِ ولكن أُبقتِ من رضوان

ويقولون للمكشوف الامر الواضح الحال ابن جلا كناية عن الصبح ومنهُ ما تمثل بهِ الحجاج .

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

ومثلهُ قولهم فلان قائد الجمل اي انهُ لا يخفى لعظم الجمل وكبر جثتهِ . وفي المثل ما استتر من قاد جملاً ومثل هذا قولهم ما يوم حليمة بسر يقال ذلك في الامر المشهور. ويوم حليمة يوم التقى المنذر الاكبر والحارث الغساني الاكبر وهو اشهر ايام العرب يقال انهُ ارتفع من الهجاج ما ظهرت معهُ الكواكب نهارًا . وحليمة اسم امرأة اضيف اليوم اليها لانها اخرجت الى المعركة مراكن الطيب فكانت تطيب بهِ الداخلين الى القتال فقاتلوا حتى تفانوا

ويقولون في الكناية عن الشيخ الضعيف قائد الحمار اشارة الى ما انشدهُ الاصمعي وهو

آتي الندي فلا يقرّب مجلسي واقود للشرف الرفيع حماري

اي اقودهُ من الكبر الى موضع مرتفع لاركبهُ لضعفي . ومثل ذلك كنايتهم عن الشيخ الضعيف بالعاجن لانهُ اذا قام عجن في الارض بكفيهِ قال الشاعر

فاصبحت كُنتيًا واصبحت عاجنًا وشر خصال المرء كنتٌ وعاجنُ

فان الكُنتي الذي يقول كنت افعل كذا وكنت اركب الخيل يتذكر ما مضى من زمانهِ ولا يكون ذلك الاَّ عند الفقر والهرم والعجز . ومثلهُ قولهم راكع للشيخ قال لبيد

اخبّر اخبار القرون الّتي مضت أدُبُّ كأني كلما قمت راكعُ

والركوع هو النطأطؤ والانحناء بعد الاعتدال والاستواء ويقولون فيهِ ايضًا هو يحجل في قيدهِ لتقارب خطوهِ قال ابو الطحان القيني

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل ادنو لصيدِ
قريب الخطو يحسب من رآني ولست مقيدًا اني بقيدِ

ونحو هذا قولهم يدب لهُ الارنب وذلك ان الذي يختل الارنب ليصيدها يتمايل في مشيتهِ وانشد ابن الاعرابي في النوادر

وطالت ليَ الايام حتى كأنني من الكبر العالي تدبُّ لي أرنبُ

ويكنون عن المرأة الّتي كبر سنها فيقولون قد جمعت الثياب اي انها تلبس القناع والخمار والازار وليست كالفتاة الّتي تلبس ثوبًا واحدًا . ويقولون لمن يخضب يسوّد وجه النذير وقالوا في قولهِ تعالى "وقد جاءكم النذير" انهُ الشيب . وقال الشاعر

وقائلة لي اخضب فالغواني تطيّر من ملاحظة القتيرِ
فقلت لها المشيب نذير موتي ولست مسوّدًا وجه النذيرِ

وزاحم شاب شيخًا في طريق فقال الشاب كم ثمن القوس يعيّرهُ بانحناء الظهر فقال الشيخ يا ابن أخي ان طال بك عمر فسوف تشتريها بلا ثمن . وأنشد لابن خلف

تعيّرني وخط المشيب بعارضي ولولا الحجول البلق لم تعرف الدهمُ
حنا الشيب ظهري فاستمرت مريرتي ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم

ويقولون لمن طلق ثلاثًا بجزها بثلاثة ويقولون ايضًا اعطاها نصف الستة

ويقولون لمن يفخر بآبائهِ هو عظامي ولمن يفخر بنفسهِ هو عصامي اشارة الى قول

النابغة في عصام بن شهر حاجب النعمان

نفس عصام سوّدت عصاما وعلمتهُ الكرّ والاقداما
وجعلتهُ ملكا هماما

واشاروا بالعظامي الى من يفخر بالاموات من آبائهِ ورهطهِ قال الشاعر

اذا ما الحيّ عاش لعظم ميت فذاك العظم حيٌّ وهو ميتُ

ونحو هذا ان عبيد الله بن زياد بن الطبيان التيمي دخل على ابيهِ وهو يجود بنفسهِ فقال ألا أوصي بك الامير . فقال اذا لم يكن للحيّ الأوصية الميت فالحيّ هو الميت

ويقال ان عطا بن سفيان قال ليزيد بن معاوية أغنني عن غيرك قال حسبك ما اغناك بهِ معاوية قال فهو اذًا الحيّ وانت الميت . ومثل قولهم عظاميّ قولهم خارجي اي يفخر بغير اولية كانت لهُ قال كثيّر لعبد العزيز

ابا مروان لست بخارجيّ وليس قديم مجدك بانتحالِ

ويكنون عن العزيز وعن الذليل ايضاً فيقولون بيضة البلد فمن يقولها للمدح يذهب الى ان البيضة هي الحوزة والحمى يقولون فلان يحمي بيضتهُ اي يحمي حوزتهُ وجماعتهُ . ومن يقولها للذم يعني ان الواحدة من بيض النعام اذا فسدت تركها ابواها وذهبا عنها قال الشاعر في المدح

لكن قائلهُ من لا كفاء لهُ وكان يُدعى ابوهُ بيضة البلدِ

وقال الآخر في الذم

حيّا قضاعة لم نعرف لكم نسبًا وابنا نزار فانتم بيضة البلدِ

ويقولون للشيء الذي يكون في الدهر مرة واحدة هو بيضة الديك قال بشار

يا أطيب الناس ريقًا غير مختبر الاّ شهادة اطراف المساويكِ
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة شيّ ولا تجعليها بيضة الديكِ

ويكنون عن الثقيل بالقذى في الشراب . قال الاخطل يذكر الخمر والاجتماع عليها

وليس قذاها بالذي لا يضيرها ولا بذباب نزعهُ ايسر الامرِ
ولكن قذاها كل جلف مكلف اتتنا بهِ الايام من حيث لا ندري

ويكنون ايضاً عنهُ بقدح الليلاب قال الشاعر

يا ثقيلاً زاد في الثقل على كل ثقيل انت عندي قدح اللبلاب في كف العليل

ويكنون عنهُ ايضاً بالقدح الاول لان القدح الاول من الخمر تكرههُ الطبيعة وما بعدهُ فدونهُ لاعتيادهِ . ويكنون عنهُ بالكانون قال الحطيئة يهجو امهُ

تهني فافعديه عني بعيدًا اراح الله منك العالمينا
أغربالاً اذا استودعتِ سرًّا وكانونًا على المتحدثينا

قالوا واصلهُ من كننتُ اي سترت فكانهُ اذا دخل على قوم وهم في حديث ستروهُ عنهُ وقيل بل المراد شدة بردهِ

ويقولون لمن يحمد جوارهُ جارهُ جار ابي داود وهو كعب بن مامة الايادي كان اذا جاورهُ رجل فمات وداهُ وان هلك عليهِ شاة او بعير اخلف عليهِ فجاورهُ ابو داود الايادي فأحسن اليهِ فضرب بهِ المثل

ومثلهُ قولهم هو جليس قعقاع بن شور وكان قد قدم الى معاوية فدخل عليهِ والمجلس غاص باهلهِ ليس فيهِ مقعد فقام رجل من القوم واجلسهُ مكانهُ فلم يبرح القعقاع من ذلك الموضع يكلم معاوية ومعاوية يخاطبهُ حتى امر لهُ بمئة الف درهم فأحضرت اليهِ فجعلت الى جانبهِ فلما قام قال الرجل القائم لهُ من مكانهِ ضمها اليك فهي لك بقيامك لنا عن مجلسك فقيل فيهِ

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليسُ
ضحوك السن ان نطقوا بخير وعند الشر مطراقٌ عبوسُ

ويكنون عن اليمين بقولهم هو جار الامير وضيف الامير واصلهُ ان الغضبان بن القبعثري كان محبوساً في سجن الحجاج فدعا بهِ يوماً فكلمهُ فقال في جملة خطابهِ انك لتمين ابا غضبان فقال لهُ من القيود في الرجعة والخصب والدعة ومن يكن ضيف الامير يمين

ويكني الفلاسفة عن اليمين بانهُ يعرّض سور حيسهِ وذلك ان افلاطون رأى رجلاً سميناً فقال ياهذا ما اكثر عنايتك بتعريض سور حيسك (اي جسمك لانهُ حبس النفس) ونظر اعرابي الى رجل جيد الكدنة وهو الكثير اللحم والشحم فقال ارى عليك قطيفة محكمة قال نعم ذاك عنوان نعمة الله عندي

ويقولون للكذاب هو قموص الحنجرة. وقمصَ الفرس وغيرهُ استنَّ وهو ان يرفع يديهِ

ويطرحهما معاً ويعجن برجليهِ ويقال هذه دابّة فيها قماص يعني الكذوب بهذا الاسم لان حنجرتهُ تتحرك من غير رويّة كانها فرس قموص . ويقولون ايضاً هو زلوق الكبد . والمزلق هو المكان الذي لا تثبت فيهِ القدم ويعنون بهذا ان نحر الكذوب لا يثبت فيهِ كلام ولا تماسك فيهِ بل يزلق الكلام ويخرج كيف كان . ويقال لهُ ايضاً اسير الهند لانهُ يدعي انهُ ابن الملك وان كان من اولاد السفلة . ويقولون ايضاً هو فاختة البلد من قول الشاعر

اكذب من فاختة تصيح فوق الكربِ
والطلع لم يبدُ لها هذا اوان الرطبِ

وقال آخر في المعنى

حديث ابي حازم كلهُ كقولي الفواخت جاء الرطبْ
وهنّ وان كنّ يشبهنهُ فلسن بدانينهُ في الكذبْ

الصحة وتغيير الهواء

اذا اقبل الشتاء بزمهريرهِ نهض الموسرون من اهالي البلدان الشماليّة الباردة يطلبون البلدان الجنوبيّة الحارّة ومن اهالي الجبال يطلبون السهول والسواحل خوفاً من البرد ومضارّهِ واذا اقبل الصيف بحرهِ خرج اهالي البلدان الحارّة وتفرّقوا في الاماكن الباردة هرباً من الحرّ والتماساً للصحة . واذا اشتى مريض او ضاقت بهِ حيل الاطباء وصفوا لهُ السفر وتغيير الهواء . وما من احد من قرّاء هذه السطور الاّ وقد اختبر بنفسهِ ما في تغيير الهواء من الراحة والنشاط ولو اقتصر على الخروج الى البساتين او الصعود على السطوح

واقاليم الارض مختلفة بين حارّ وبارد ومعتدل على درجات شتّى وبين رطب وجافّ وبين ما هو كثير التغير صيفاً وشتاءً او نهاراً وليلاً وما لا يكاد يتغير الى غير ذلك ممّا يطول شرحهُ . والانسان يعيش في كل الاقاليم وتجود صحتهُ فيها كلها او تتولاهُ فيها الامراض والاسقام حسب طرق المعيشة الّتي يجري عليها والتعرُّض للآفات الّتي تتغلب فيها ودرجة التدابير الصحيّة الّتي بلغ اليها علمهُ او علم الذين يناط بهم امر الصحة العامة . واذا انتقل من اقليم الى آخر اخذت اعضاء جسمهِ تتعوّد هواء ذلك الاقليم فلا